الجمهورية العراقية
رئاسة ديوان الأوقاف
إحياء التراث الإسلامي

شفاء الغليل

في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل

للشيخ الامام حجة الاسلام ابى حامد الغزالي
محمد بن محمد بن محمد الطوسي
(٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ)

تحقيق

الدكتور حمد الكبيسي

ينشر لأول مرة عن أربع نسخ مخطوطة

مطبعة الارشاد ـ بغداد

١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م

هذا الكتاب هو القسم الثاني من رسالة جامعية ، قدمت للحصول على درجة « الدكتوراه » في الشريعة الاسلامية ، من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر • وقد نوقشت في ١٩٦٩/٦/٨ ، فنالت مرتبة الشـــرف الأولى ، مع التبادل •

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه اجمعين . اما بعد : فان المأمول ان يكون لرئاسة ديوان الاوقاف آفاق رحبة ، ومنطلقات فسيحة في مجالات الخدمة والبناء . حيث لا يقصُر خطوها عن المساهمة في كافة السبل التي تؤدى الى تدعيم الحضارة الاسلامية ، وتتصل باسبابه قوتها وخلودها .

ومن المسلم به ان العلم والمعرفة من اقوى الدعائم التي يقوم عليها البناء المتحضر لاية امة من الأمم . ومن المسلم به ايضا ان في محيطات تراثنا الخالد دررا تنشد الغواص البارع ، وكنوزا تناشد ذا الخبرة والمراس .

وهكذا وجد المسؤولون في هذا الديوان انفسهم أمام مسؤولياتهم الحضارية في حتمية اخراج هذه الكنوز الى ظاهر الارض ، ومسح غبار السنين الطويلة عنها من اجل ان يجد فيها المتعطشون الى رحيق العلم منهلا عذبا .

وقد وجدت هذه الخطوة المباركة طريقها الى امهات الكتب المخطوطة التي لم يقدر لها ان ترى النور حتى الآن .

فوقع الاختيار على كتاب « شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل » للامام أبى حامد الغزالي رحمه الله . وهو كتاب له مكانة بين كتب علم اصول الفقه ، وله مكانته عند المتخصصين في هذا العلم . وقد يسر الله له حالة من التحقيق جيدة على يد الدكتور حمد الكبيسي عميد كلية الامام الاعظم ، ومدرس الشريعة الاسلامية في كلية القانون والسياسة بالجامعة المستنصرية . فجمع نسخه المخطوطة المتفرقة في مكتبات العالم وقارن بينها شارحا وموضحا . مع دراسة عن النص قيمة استحق بها درجة

الدكتوراه من جامعة الازهر بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الاولى وتبادل الرسالة مع الجامعات ، مع اقتراح من لجنة المناقشة بطبع الرسالة على نفقة الجامعة .

ورئاسة ديوان الاوقاف اذ تقوم بدفع هذا الكتاب القيم الى المطبعة لأول مرة في تأريخه ، وتضعه بين أيدي الطلاب والمتخصصين . لترجو أن يتيسر لها تكرار المحاولة مع درة أخرى من بحار العلوم الاسلامية والعربية فتخرجها من زحام الاجيال وتراكم السنين الى عالم المداولة والبحث . انسجاما مع الجوانب الحيوية للفكر الاسلامي والثقافة العربية ، وتمكينا لاهل العلم من استكمال اسباب الدرس والتحصيل .

والله ولي التوفيق

نافع قاسم

رئيس ديوان الأوقاف

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيق

أبو حامد الغزالي[1]

١ ـ عصـــره :

عاش الامام الغزالي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، أي في قسم من الفترة التي يسميها المؤرخون : العصر العباسي الثالث ، من سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، الى اربع وسبعين واربعمائة للهجـــرة [٣٣٤ ـ ٤٧٤] وفي الفترة التي تليها .

واذا كان العصـــر العباسي كله قد اتســـم بكثرة الأحداث وتعدد الاتجاهات والنزعات مع اتساع الرقعة وضخامة الملك وتصارع قوى الدين والدنيا ـ فقد كان القسم الثالث من هذا العصر أكثر تأثرا بهـذه الظواهر ، بسبب ما وقع فيه من اضطراب وخلل في كيان الدولة والمجتمع .

ففي هذا العصر ضعفت الخلافة الاسلامية ، وكان الملك العربي على أهبة التقوض بعد اشتداد الصراع بين البويهيين ، والسلاجقة الوافدين من نيسابور : متطلعين الى ارث دولة بني بويه . وقد تم لهم ما أرادوا فاستولوا على بغداد ، وبسطوا ظلال حكمهم على العراق قبل مولد الغزالي بثلاث سنين ؛ وكان ذلك بقيادة مؤسس دولتهم : ركن الدين أبى طالب ، المعروف

---

(١) انظر ترجمته في : اتحاف السادة (١/٦ ـ ٤٨) ، والبدايـــة والنهاية (١٢/١٧٣) وتاريخ دمشق لابن عســـاكر (٣١/٣٤٠ ـ ٣٤٨) وسير النبلاء للذهبي (١٢/٧٤ ـ ٨١) والشذرات (٤/١٠ ـ ١٣) والكامل لابن الأثير (١٠/١٧٣) وطبقات الشافعية (٤/١٠١ ـ ١٨٢) و ط٠الحلبي (٦/١٩١ ـ ٣٨٩) . وطبقات الزيدية (٤١٤ ـ ٤١٥) ومرآة الجنـــان (٣/١٧٧ ـ ١٩١) ومرآة الزمان (٨/٣٩ ـ ٤١) ومفتاح السعادة (٢/١٩١ ـ ٢١٠) والمنتظم (٩/١٦٨ ـ ١٧٠) والنجـــوم الزاهرة (٥/٢٠٣) والوافي بالوفيات (١/٢٧٤ ـ ٢٧٧) والوفيات (٣/٣٥٣ ـ ٣٥٥) .

بطغرل بك • وبعد دخوله بغداد ومثوله أمام الخليفة العباسي القائم بأمر الله، منحه لقب السلطان ـ بعد أن حاول أحد الموالين للفاطميين أن يخلع هذا الخليفة ؛ فجاء طغرل بك وأعاده الى الخلافة ، فكافأه الخليفة بهذا اللقب وبمنح أخرى • وأصبحت السلطة الفعلية في يد السلاجقة ، واقتصر أمر الخلافة العباسية على السلطة الروحية أو الظاهرية الشكلية تقريبا •

وفي هذا العصر ـ أيضا ـ اشتد أوار العقيدة الباطنية الاسماعيلية ، بمساعي الحسن بن الصباح الاسماعيلي المتوفى سنة ٥١٨هـ • وهي عقيدة تقوم على أساس القول بالامام المنتظر المعصوم • كما اتخذت من سفك الدماء والعدوان واباحة الحرمات منهجا لها تسير عليه وتدعو اليه • وحسبنا أن نعرف أن واحدا من معتنقي هذه العقيدة قد اعتدى على الوزير نظام الملك فقتله سنة ٤٨٥هـ • ثم أعتدى آخر منهم على الوزير فخرالملك بن نظام الملك فقتله سنة ٥٠٠هـ • وحينما كان الباطنية يقتلون ويسفكون الدماء ويغتالون قادة المسلمين ، كانت الحملات الصليبية تنشر وباءها في بلاد الاسلام ، وكأنما كان الفريقان على ميعاد •

وفي هذا العصر كذلك قوى الصراع بين مذاهب أهل السنة والجماعة، بعد أن اشتركت الحماسة المذهبية والتقليد الأعمى في تحريك هذا الصراع• فقد كان السلاجقة مثلا يتبعون المذهب الحنفي في أول الأمر ويشونه في خراسان ؛ وقد بالغ وزيرهم عميد الملك منصور بن محمد الكندرى في نصرة هذا المذهب والتعصب له ، فحسن للسلطان طغرل بك لعن المبتدعة على المنابر ، فأمر السلطان بذلك ، فاتخذ الكندرى هذا ذريعة الى ذكر الأشعرية ، وصار يقصدهم بالاهانة والأذى ، والمنع من التدريس والوعظ ، وعزلهم عن الخطبة في المساجد • واستعان بطائفة من المعتزلة الذين زعموا أنهم يقلدون مذهب أبى حنيفة ، وأشربوا في قلوبهم عقائد الزيغ والضلال فحسنوا للسلطان الازراء بمذهب الشافعي عموما ، وبمذهب الأشعرية

خصوصا ، فكانت فتنة عم شرها ، وأدت بالأمة الى التشتت والنزاع ، وشيوع التعصب والعداء .

ولا يفوتنا أن نشير الى الفتنة التي اشتعلت بين الحنابلة والأشعرية ، والحنابلة والشيعة ببغداد ؛ وقد استدامت بشكل خطير ، ولم تخل عنها فترة من فترات ذلك العصر ، وكانت الأمة تدفع ثمن هذه الفتن : ضحايا بشرية كثيرة ، وخسرانا فكريا وروحيا وماديا كبيرا[1] .

واذا كان طابع عصر الامام الغزالي هو ما أسلفناه على المستوى السياسي والاجتماعي ـ فانه بالنظر الى المستوى الحضاري والثقافي والانتاج العلمي ، نجد أن هذه الحقبة من الزمن قد امتازت بنهضة علمية شاملة ؛ فازدهرت فيها الدراسات الاسلامية في التفسير والحديث والأصول والفقه والفلسفة والمنطق ، بفضل تلاقي حضارات الأمم المختلفة . فقد كان لسيطرة السلاجقة على ايران والعراق وما جاورهما آثار واضحة في مختلف مظاهر الحضارة في عصرهم .

والباحث لا يستطيع الا أن يقف مبهورا أمام عظم المنجزات الرائعة التي قام بها السلاجقة : من مقاومة للغزو الأوربي ، ووعي لخطر المذاهب الباطنية ، والعمل على دحرها ورد باطلها ، ونشاط كبير في انشاء المدارس ودور العلم ، وعناية بالدارسين والباحثين . فكأن محط نظرهم هو أن العلم من أهم الأسلحة التي ينبغي أن تتوفر للأمة لصد العدوان عنها ، ورد كيد الطامعين فيها ، والطاعنين عليها . وقد كانت اليد الطولى في هذه النهضة

---

(١) راجع فيما تقدم : طبقات الشافعية (٢/٢٦٩ ـ ٢٧٥) ومرآة الزمان (٨/٤١ ـ ٥١) والمنتظم (٨/٣٠٥ و ٣٢٦ ، ٩/٢٠ و ١٧٠) والكامل لابن الأثير (٩/١٧٥ و ١٩٥ و ٢١٤ و ٢٢١ و ٢٢٧ ، ١٠/٤٦) وتاريخ الاسلام للذهبي ج١٢ . دار الكتب رقم ١٢١٩٥ح .

للوزير السلجوقي نظام الملك[1] مؤسس المدارس النظامية الكثيرة في أنحاء العالم الإسلامي .

في هذا العصر ـ بما فيه من زوابع وعواصف ، وما يكدره من شدائد ومحن ـ ولد الامام الغزالي ونشأ ؛ فلما اشتد عوده ، ورأى مجتمع المسلمين يضطرب : جعل كل همه ـ بما أوتي من مواهب وقدرات بفضل استمداده من هدى كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالحين ـ أن يساهم برسم ما قد يكون هو الطريق الأمثل لهذه الأمة ، لتسير فيه آمنة مطمئنة . فاستقبل المسلمون بظهوره عصرا جديدا وحياة فكرية منتعشة زاهرة .

* * *

٢ ـ اسمه ونسبه ومولده :

هو أبو حامد زين الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي[2] . وقد ثار خلاف حول أصله : أعربي هو أم فارسي ؟ فهناك من ذهب الى أنه من سلالة العرب الذين دخلوا بلاد الفرس منذ بداية

---

(١) أبو علي حسن بن علي بن اسحاق الطوسي ، ولي الوزارة لألب أرسلان ، ثم من بعده لابنه ملكشاه ، وقد توفي في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ٤٨٥هـ . انظر المنتظم (٩/٦٤ ـ ٦٨) وطبقات الشافعية (٣/١٣٥ ـ ١٤٥) .

(٢) نسبة الى طوس ، وهي ثاني مدينة في خرسان بعد نيسابور . وكانت تتألف من بلدتين ، يقال لاحداهما : الطابران ، وللأخرى نوقان ، ولهما اكثر من ألف قرية . وبطوس يوجد قبر الامام علي بن موسى الرضا، وقبر هارون الرشيد . وفي سنة ٦١٧هـ . دمرت جحافل المغول مدينة طوس تدميرا تاما لم تنهض منه ، وانما نشأ بعد ذلك عمارة الى جوار مشهد الرضا وقبر الرشيد ، ومن ثم ظهرت مدينة : « المشهد » . منذ القرن الثامن الهجري ، تحيط بها قبور كثيرة ، من بينها قبر الغزالي ، الى شرقي ضريح الامام الرضا . انظر معجم البلدان ٣ : ٥٩٠ . والوفيات ١ : ٨١ .

الفتح الاسلامي ، ومن الباحثين من ذهب الى أنه من أصل فارسي • وليس يضير امامنا أن يكون فارسيّ الأصل ، ولد ونشأ مسلما ، وتكلم بالعربية وخدم لغة القرآن وشريعة المسلمين ؛ كما أن اثبات العربية لأصله لن يضيف اليه مجدا يعتد به في مجتمع يحكمه قانون : أن لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى والعمل الصالح •

في مدينة الطابران ، وفي سنة خمسين واربعمائة للهجرة ، ولد امامنا لأب فقير صالح • وقد حدثتنا المصادر التي رجعنا اليها في ترجمة الامام : أن أباه كان رجلا متدينا ورعا ، يشتغل بغزل الصوف[1] ، ليكسب قوته من عمل يده ، ويبيع هذا الصوف في دكان له بطوس ؛ وكان يحب العلم والعلماء : وفي أوقات فراغه يطوف على الفقهاء والوعاظ يجالسهم ويستفيد منهم ، حتى اذا سمع كلامهم بكى وتضرع ، وتمنى على الله أن يرزقه أبناء كهؤلاء ؛ فاستجابت الارادة الالهية لدعائه ، فكان له محمد أشهر علماء عصره ، وأحمد أخوه وكان واعظا مشهورا • الا أن الايام لم تمهل هذا الأب ليشهد أمله وقد تحقق ، فرحمه الله وأكرم مثواه •

ولما حضر الموت أبا الغزالي ، أوصى بولديه محمد وأحمد الى صديق له صوفي صالح وقال له : ان لي تأسفا عظيما على تعلم الخط ، وأشتهي

---

(١) من هنا كانت النسبة الى العمل الذي كان يقوم به والده • وعلى هذا فان الغزالي بتشديد الزاي نسبة الى الغزال ـ كما ذكر ابن خلكان ـ على عادة أهل خوارزم وجرجان في نطق النسبة بعد النسبة ، فأبوه نسب الى غزل الصوف فسمى الغزال ، وأبو حامد نسب الى أبيه فصار الغزالي • ويروى أنه ولد في قرية غزالة من قرى طوس ، وعلى هذا فالزاي غير مشددة • ويعلق ابن خلكان على رواية عدم التشديد بأنها خلاف المشهور • ونسبها الى ابن السمعاني • الوفيات ١ : ٨١ • الا أن اللقب اشتهر بتخفيف الزاي وغلب وشاع الى اليوم • انظر المصباح المنير (غزل) والوافي بالوفيات ١ : ٢٧٧ والاتحاف ١ : ١٨ •

استدراك ما فاتني في ولدي هذين ، فعلمهما ، ولا عليك أن ينفد في ذلك جميع ما أخلفه لهما » .

فلما مات استجاب الصوفي الصالح لرجاء الوالد الراحل ، وظل يوليهما عنايته ورعايته ، حتى نفد ما تركه الوالد من مال .

ولما كان الوصي رجلا فقيرا لا يملك شيئا ذا بال ، وتعذر عليه الاستمرار في الانفاق على الأخوين ـ قال لهما : اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما ، وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به ؛ وأصلح ما أرى لكما أن تلجأ الى مدرسة ـ فانكما من طلبة العلم ـ فيحصل لكما قوت يعينكما » .

وانما أشار عليهما أن يدخلا مدرسة ، لأن المدارس الاسلامية كان منهجها من قديم الزمان أن تعاون طلابها على طلب العلم بتيسير أسباب القوت وضرورات الحياة .

وأطاع الولدان النصيحة ، ودخلا المدرسة ، وأكبر همهما أن يضمنا القوت لنفسيهما . وكان أبو حامد يحكي هذا ويقول : قصرنا الى مدرسة نطلب الفقه ، وليس المراد سوى تحصيل القوت ، فكان تعلمنا لذلك لا لله ، فأبى الا أن يكون لله[1] .

* * * *

٣ ـ شيوخه :

لم يصل الينا ما يعرفنا اسم تلك المدرسة وشيوخها ، التي دفع اليها الغزالي وأخوه في مطلع فتوتهما : لضمان قوتهما . وأول ما طالعتنا به

---

(١) انظر طبقات الشافعية (٤/١٠٢) واتحاف السادة (١/٧) .

كتب التراجم في ذكر شيوخه : هو طلبه علم الفقه على أستاذه أحمد بن محمد الراذكاني الطوسي[1] . ثم تطلع الى آفاق أوسع مما عاش وما طلب، فارتحل الى جرجان ، وهناك تتلمذ على أبي القاسم اسماعيل بن مسعدة الاسماعيلي[2] . وكان يدون ما يتلقاه منه في مذكراته وكتبه .

وفي طريق عودته من جرجان الى بلده ، وقعت له حادثة كان لهـا أثر بليغ في حياته ، دفعه الى أن يغير طريقته التي أعتادها في الطلب والتلقي؛ حكاها بقوله : قطعت علينا الطريق ، وأخذ العيارون جميع ما معي ومضوا ، فتبعتهم ، فالتفت اليّ مقدمهم وقال : ارجع ويحك والا هلكت . فقلت له : أسألك بالذي ترجو السلامة منه ، أن ترد على تعليقتي فقط ، فما هي بشيء تنتفعون به . فقال لي : وما هي تعليقتك ؟ . فقلت : كتب في المخْلاة ، هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها . فضحك وقال : كيف تدعي أنك عرفت علمها ، وقد أخذناها منك : فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم » ؟. ثم أمر بعض أصحابه فسلم الى المخلاة .

فاعتبر الامام الغزالي هذا مستنطقا من الله سبحانه ليعطيه درسـاً مفيدا مثمرا على مدى العمر ، فأقام بعد ذلك بطوس ثلاث سنين يعاود قراءة مذكراته ومطالعة أوراقه ، حتى حفظ جميع ما علقه ، بحيث لو قطع عليه

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشافعية (٣/٣٦) .

(٢) انظر ترجمته في طبقات الشافعية (٣/١٢٩ ـ ١٣٠) وقد ذكر ابن السبكي والمرتضى أنه أبو نصـر الاسماعيلي . الطبقات (٤/١٠٣) واتحاف السادة (١/٧) . وهذا خطأ ، لأن أبا نصر الاسماعيلي توفي سنة ٤٠٥هـ . على ما ذكره ابن السبكي في ترجمته (٣/٣٧) فلا يمكن أن يكون الغزالي قد حضر عليه .

الطريق لم يتجرد من علمه[1] .

ولم يقنع الامام الغزالي في طلب العلم بما حصل . فخرج من طوس قاصدا نيسابور ، أكبر مدن خراسان . وفي تلك المدينة اتصل بامام الحرمين ، أبي المعالي ضياء الدين عبدالملك الجويني[2] ، وتتلمذ عليه ولازمه وجد واجتهد ؛ فأعجب الأستاذ بتلميذه ، فزاد تقريبه اليه ، ومكن له في محبته واحترامه ؛ وبقي يجاور الامام ويصحبه حتى وفاته سنة ٤٧٨هـ .

وأخذ التصوف عن الامام يوسف النساج . والامام الزاهد أبي على الفضل بن محمد بن علي الفارمذى الطوسي ، من أعيان تلامذة أبي القاسم القشيري[3] .

وأخذ الحديث عن أبي سهل محمد بن أحمد الحفصي المروزي ، فقد سمع عنه صحيح البخارى[4] .

ومن شيوخه في الحديث ـ أيضا ـ أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي . وأبو محمد عبدالله بن أحمد الخوارى . ومحمد بن يحيى بن محمد السجاعي الزوزني . والحافظ أبو الفتيان عمر بن أبي الحسن الرؤاسي الدهستاني . ونصر بن ابراهيم المقدسي[5] .

---

(١) انظر طبقات الشافعية (٤/١٠٣) واتحاف السادة (١/٧) وفريد رفاعي (١/٨٩ ـ ٩٢) .

(٢) انظر طبقات الشافعية (٢/٢٤٩ ـ ٢٨٢) .

(٣) تاريخ ابن عساكر (٣١/٣٤٥) وسير النبلاء (١٢/١٧٥) واتحاف السادة (١/١٩) .

(٤) مرآة الزمان (٨/٤١) وتريخ ابن عساكر (٣١/٣٤١) واتحاف السادة (١/١٩) .

(٥) اتحاف السادة (١/١٩) وطبقات الشافعية (٤/١١١) .

فاكتملت له ـ بهذه الدراسات وغيرها ـ الامامة والرياسة ، واستحق ثناء الأكابر عليه من مشايخه وممن عاصره أو أتى بعده ؛ حتى قال عنه تلميذه محمد بن يحيى النيسابوري : لا يعرف الغزالي وفضله الا من بلغ أو كاد أن يبلغ الكمال في عقله »[1] . وكان أستاذه امام الحرمين يظهر التبجح به ، ويصفه بأنه بحر مغدق[2] . وهذا ليس بكثير على فتى بكرت به الرجولة ، وجد واجتهد حتى برع في المذهب والخلاف والجدل ، وأصول الدين والفقه ، والمنطق والحكمة والفلسفة ؛ وأحكم كل ذلك بعد فهم سليم لكلام أرباب هذه العلوم ، يحيط بهذا كله ، شدة ذكاء ، وسداد نظر ، وقوة حافظة وحجة .

* * *

٤ ـ امامته :

لقد بزغ نجم الامام ، بعد وفاة أستاذه امام الحرمين ؛ اذ خرج الى المعسكر قاصدا الوزير نظام الملك ، الذي كان مجلسه مجمع أهل العلم وملاذهم ، فناظر الأئمة من العلماء في مجلسه ، وقهر الخصوم ، وظهر كلامه عليهم ، فاعترفوا بفضله وتمكنه ، ورأوا فيه اماما اجتمعت له الموهبة الأصيلة والتحصيل الواسع .

عندئذ تلقاه النظام بالاحترام والتبجيل ، وولاه تدريس مدرسته ببغداد ، وطلب منه التوجه اليها . فقدم بغداد سنة أربع وثمانين وأربعمائة وتولى التدريس ونشر علم الشريعة في النظامية ، وحضر دروسه الكثير من العلماء وكبار الأئمة ببغداد فأعجبوا به ، ونقلوا آراءه وكلامه في كتبهم[3] .

---

(١) انظر طبقات الشافعية (١٠٦/٤) واتحاف السادة (١٠/١) .

(٢) انظر طبقات الشافعية (١٠٣/٤) .

(٣) انظر المنتظم (١٦٩/٩) وطبقات الشافعية (١٠٤/٤) .

وبقي على هذه الحال مدة أربع سنوات تقريبا ، الى أن انقلب امره ، فترك المنصب • واطرح ما نال من حشمة ودرجة ، للاشتغال بالتقوى وزاد الآخرة • فاستناب أخاه أحمد في التدريس ، وخرج من بغداد ، وقام بزيارة دمشق وبيت المقدس والخليل ـ فك الله اسارهما ـ وعاد الى دمشق ثانية ومكث بها مدة ، ثم أدى فريضة الحج وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو طيلة هذه الرحلة منصرف عن الخلق بالكلية ، متزهد لابس خشن الثياب[1] •

وبعد الانتهاء من أداء الفريضة ، عاد الى بغداد سنة ٤٩٠هـ • ولكنه لم يعد الى الظهور والتدريس ، بل نزل في رباط للصوفية يقع في مواجهة المدرسة النظامية[2] • وبعد أشهر قلائل ، عاد الى وطنه بطوس ، فأقام بها مقبلا على التصنيف والعبادة وملازمة التلاوة ، وعدم مخالطة الناس •

وفي سنة ٤٩٨هـ ولى فخر الملك علي بن نظـام الملك الوزارة في نيسابور • فقصد الامام الغزالي وسمع منه وتتلمذ عليه ، وألح في معاودته

---

(١) ذكرت بعض كتب التراجم أن الامام الغزالي قصد ـ بعد زيارة بيت المقدس ـ مصر وأقام بالاسكندرية مدة ، وكان قصده الركوب الى بلاد المغرب لزيارة الامير يوسف بن تاشفين • وقد انكر هذه الرواية صاحب مرآة الجنان (٣/١٧٨ ـ ١٧٩) وقال : كيف يذكر أنه قصد الملك المذكور لأرب ، وهو من الملوك والمملكة هرب ؟ فقد كان له في بغداد الجاه الواسع والمقام الرفيع • فاحتال في الخروج عن ذلك ، وتعلل : بأنه الى الحج سالك، لأداء ما عليه من فروض المناسك • ثم عدل الى الشام ، وأقام بها ما أقام ». وراجع مؤلفات الغزالي لبدوى (٢٣) •

(٢) في هذه الفترة التقى به أبو بكر ابن العربي ـ للمرة الثانية ـ وجرت بينهما مناقشات روحية• فراجع القواصم والعواصم (٨ ـ أ) وشجرة النور الزكية (١٣٨) •

التدريس كل الالحاح . فأجابه الى ذلك ، وعاد الى التدريس في نظامية نيسابور ، وبقي على هذه الحال مدة لم تقدرها كتب التراجم[1] ، عاد بعدها الى وطنه ، وبنى دارا حسنة وغرس حولها بستانا[2] ، واتخذ في جواره مدرسة ورباطا للصوفية ، ووزع أوقاته على وظائف الخير : من ختم القرآن ودراسة الحديث ، ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس ؛ الى أن اختاره الله سبحانه لكريم جواره ، فمضى الى رحمته يوم الاثنين : الرابع عشر من جمادي الآخرة سنة خمس وخمسمائة . فرضى الله عنه وأكرم مثواه .

* * * *

٥ ـ تلامذته :

انه لمن العسير على الباحث أن يحيط بمعرفة جميع من تتلمذ على الامام الغزالي وتلقى عنه ؛ بعد أن وجدنا أبا بكر ابن العربي يقول : رأيته (أي الغزالي) ببغداد يحضر مجلس درسه نحو أربعمائة عمامة من أكابر الناس وأفاضلهم ، يأخذون عنه العلم[3] . وبعد أن انتشرت كتبه ومصنفاته في حياته بين مشرق العالم الاسلامي ومغربه ، حتى انه صادف دخوله يوما الى مدرسة في دمشق فوجد المدرس يقول : قال الغزالي . وهو يدرس من كلامه[4] .

---

(١) لعل الامام اعتزل التدريس بها بعد اغتيال فخر الملك على يد أحد الباطنية سنة ٥٠٠ . انظر الطبقات (٤/١٠٨ و ١١١) ومرآة الزمان (٨/٤٠ و ٤١) وانظر في حادثة مقتل فخر الملك : المنتظم (٩/١٤٨ ـ ١٤٩).

(٢) راجع مرآة الزمان (٨/٤١) والبداية والنهاية (١٢/١٧٣) .

(٣) انظر الشذرات (٤/١٣) .

(٤) انظر طبقات الشافعية (٤/١٠٥) .

ومع هذا ، فاننا سنحاول أن نتعرف على بعض تلامذته ممن ورد ذكرهم في كتب التراجم :

فمن هؤلاء : القاضي أبو نصر أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الخَمْقَرِي البَهُوني ، من أهل بهونة : احدى قرى خمس من قرى مرو ، ويقال لمن ينسب اليها : خمقرى • تفقه على الامام بطوس وسمع الحديث من آخرين وتوفى سنة ٥٤٤هـ[١] •

ومنهم : الامام أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد بن بَرهان الأصولى : كان أولا حنبليّ المذهب ، ثم انتقل وتفقه على الشاشي والغزالي والكيا • وتوفى سنة ٥١٨هـ[٢] •

ومنهم : أبو منصور محمد بن اسماعيل بن الحسين بن القاسم العطارى الطوسي الواعظ ، تفقه على أبى حامد بطوس • وتوفى سنة ٥٧٣هـ[٣] •

ومنهم أبو سعيد محمد بن أسعد بن محمد النَوْقَاني ، الملقب بالسديد ، توفى مقتولا في حادثة الغز بمشهد علي الرضا سنة ٥٥٤هـ[٤] •

ومنهم : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت ، الملقب بالمهدي ، صاحب دعوة سلطان المغرب عبدالمؤمن بن علي • دخل المشرق ، فتفقه على أبى حامد والكيا[٥] •

ومنهم : أبو حامد محمد بن عبدالملك الحَوْزَقاني الاسفرَايِني •

---

(١) انظر طبقات الشافعية (٤/٣٨ ـ ٣٩) واتحاف السادة (١/٤٤) •

(٢) انظر ترجمته في طبقات الشافعية (٤/٤٢) •

(٣) المصدر السابق : (٤/٦٥ ـ ٦٦) •

(٤) المصدر السابق : (٤/٦٦) •

(٥) المصدر السابق : (٤/٧١ ـ ٧٤) •

تفقه على أبي حامد ببغداد[1] .

ومنهم : أبو عبدالله محمد بن علي بن عبدالله العراقي البغدادي ، تفقه على أبي حامد والكيا والشاشي ، وبقي بعد الأربعين وخمسمائة[2] .

ومنهم : أبو سعيد محمد بن علي الجاوائي الكردى . حدث بكتاب الجام العوام للغزالي عنه ؛ وقرأ المقامات الحريرية على مؤلفها[3] .

ومنهم : الامام أبو سعيد محمد بن يحيى بن منصور النيسابوري ، من أشهر تلاميذ الغزالي . استشهد في رمضان سنة ٥٤٨هـ في فتنة الغز[4].

ومنهم : أبو طاهر ابراهيم بن المطهر الجرجاني . حضر دروس امام الحرمين بنيسابور ثم صحب الغزالي ورافقه في أسفاره . ثم عاد الى وطنه جرجان ، واشتغل بالتدريس والوعظ الى أن قتل شهيدا سنة ٥١٣هـ[5] .

ومنهم : أبو عبدالله الحسين بن نصر بن محمد الجهني الموصلي المتوفى سنة ٥٥٢هـ[6] .

ومنهم : خلف بن أحمد النيسابوري . ذكره ابن الصلاح في مشكل الوسيط وقال : بلغني أنه توفى قبل الغزالي . وله عن الغزالي تعليقة[7] .

ومنهم : أبو الحسن سعد الخير الأنصاري المغربي الأندلسي ، تفقه على الغزالي ببغداد وتوفى سنة ٥٤١هـ[8] .

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشافعية (٤/٨٦) .
(٢) المصدر السابق : (٤/٨٨) .
(٣) المصدر السابق : (٤/٨٨) .
(٤) المصدر السابق : (٤/١٩٧ ـ ١٩٨) .
(٥) المصدر السابق : (٤/٢٠٠) .
(٦) المصدر السابق : (٤/٢١٧) .
(٧) المصدر السابق : (٤/٢١٨) .
(٨) المصدر السابق : (٤/٢٢٠ ـ ٢٢١) .

ومنهم : أبو عبدالله شافع بن عبدالرشيد بن القاسم الجيلي • تفقه على الكيا وأبي حامد • وتوفي سنة ٥٤١هـ[١] •

ومنهم : الأستاذ أبو طالب عبدالكريم بن علي بن أبي طالب الرازي • تفقه على الكيا والغزالي وتوفي سنة ٥٢٢ أو سنة ٥٢٨هـ[٢] •

ومنهم : الامام أبو منصور سعيد بن محمد الرَّزاز ، من كبار أئمة بغداد • تفقه على الغزالي والشاشي والكيا والميهني ، وتولى تدريس نظامية بغداد وتوفي سنة ٥٣٩[٣] •

ومنهم : علي بن محمد بن حَمُّوْيَه الصوفي • تفقه على الامام الغزالي بطوس[٤] •

ومنهم : أبو الحسن علي بن المطهر بن مكي الدِّينَوَري ، من كبار تلاميذ الغزالي في الفقه • توفي سنة ٥٣٣هـ[٥] •

ومنهم : أبو عبدالله مروان بن علي بن سلامة الطَّنْزي ، من قرية طنزة بديار بكر • ورد بغداد وتفقه بها على الغزالي والشاشي وتوفي سنة ٥٤٠هـ[٦] •

ومنهم : أبو الحسن علي بن مسلم بن محمد السُّلَمي • جمال الاسلام• لازم الامام مدة اقامته بدمشق وأخذ عنه• وتوفي سنة ٥٣٣هـ[٧]•

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشافعية (٤/٢٢٥) •
(٢) المصدر السابق : (٤/٢٥٨ ـ ٢٥٩) •
(٣) المصدر السابق : (٤/٢٢١ ـ ٢٢٢) •
(٤) المصدر السابق : (٤/٢٨١) •
(٥) المصدر السابق : (٤/٢٨٤) •
(٦) المصدر السابق : (٤/٣٠٨) •
(٧) المصدر السابق : (٤/٢٨٣) •